



خطوات في ليل الفجر

مجموعة قصصية لمي مظفر

في مجتمع مختنق بكراهيات اسطورية وجو تنز فيه الاحقاد وتهرب منه مشاعر العطف ، حيث تنفرز الظلمات على جسد الارض كوحوش مخلوقة العيون قرونا طولا ، في هذا الاطار المنكفئ على فراغسات اللاجدوى حين يظهر بين الحين والحين صوت مكثرت نبدأ معه بتعجي ابجدية التعاطف من جديد بعد ان نكون موغلين في مجاهل القرية الانسانية ، هذه المجموعة تتواصل مع الهلع المقيم في محاولة لتقصه واحلال ومضات قريبي بشرية بين الناس .

نحن في كل شيء قريبا نبدأ من النهاية لان البداية مسؤولية والنهاية ارتفاع عن المسؤولية . وفي الفكر والفنون بعامة نستسهل نهاية المطاف قبل بدء الرحلة ، فمجال الشعوذة في الفن ايسر من امكانية الشعوذة في تصليح باب او صنع كرسي حيث لا تكون البداية هناك الا معاناة للفعل ولا تكون النهاية الا انجازا حقيقيا . وهذه القصة معالجة لفهوم البداية في اكثر من معنى ، فهي بداية منبهة عن انجاز ، وهي تتطلع الى الابانة عن وجدان حي عميق في اسماه وفرحه . تمازج الصدق والشاعرية في هذه القصة لا يكاد يتوارى عن البصر وهو في كثير من المواضع يرتفع الى التعبير عن حنين نصار متوحد يمزفه التوق الى ازالة استنار القرية عن وجه المرأة هنا وفي هذه الحقبة . او يكون هذا شيئا مما يسمى بالادب النسوي ؟ ولكن هل اذا كان الادب معنيا بالفهم الصدوق لتجربة المرأة بوصفها امرأة يكون بالضرورة متصلا بزمان موفوت يعبره الزمان الدائم ؟ لسنا حكاما على الاجيال التي تأتي فيما تود ان تقرأ من اعمال جيلنا ، وكل سا يعيننا هو ان كاتبة تحرت الوضع البشري في زماننا وكشفت عن جانب من وعي المرأة فيه فاحسنت نسج هذا الوعي في قصص ملناعة أفدق خلالها حنو متفجر العطاء .

ما المرأة في اطارها الشرقي بازاء الرجل ؟ تبدو لي هي ما كان عليه الانسان عموما في نظر باسكال ، اي (عدم ازاء اللامتناهي وكل ازاء العدم) واللامتناهي والعدم هنا هو هذا الرجل الشرقي السذي يصدها عن حق المواطنة في مواضع خطاه والمشاركة في ميادين رؤاه ، وهو في الوقت نفسه يملأ بها نفسه في اثناء جوعه المترامي الاطراف اليها سادا عليه آفاق التحرك المتحرر منها كمشكلة . ولولا جهل الرجل الشرقي للمرأة وابتعاده عنها لكان استطاع ان يشغل بغيرها من امور مصيرية . انها نلاحقه في ضعفها فهي ما يستحي منه ، وهي بما يذود عنه ، وهي ما يتصوره عنوان شرفه ، ولكنها في النهاية لا شيء ، لان قيمتها ، في حياة او موت ، هو الذي يضعها ، وهذا الطاغية الذي لا يعرف من الاخلاق سوى العيب ، والعيب اللصيق بحشية المرأة ، ولا يعرف من القوانين سوى المحرمات .

الادب النسوي اسطورة ولكنها اسطورة واقعية . اية مستنتعات آسنة نخوضها المرأة في سبيل الوصول الى حقيقتها بواسطة ادب يسعى للابانة عن قضايا اساسية هي من العنف بحيث تتخذ شكلا لا واقعا وهي من الحياء بحيث تجول في نطاق ما لا يعبر منه ، والنتيجة تكون بالضرورة ضربا من العي في التعبير ويكون تجاوزه كما تجاوزه هذه المجموعة ضربا من ابداع يثير الاعجاب . اية حاجة للمرأة في غير هذه الصحراء المحاصرة بليلها الى انخاذ هذه الصيغ الرمزية السرية لتعبر عن جذل نهارات مشعة وتعرض وجهها بعض التعريض لرياح تهب بحرية على وجوه الخلق في كل مكان ؟

تطرح في هذه المجموعة من قصص الشجن اسئلة بشأن الطريق المفتوح التي تتخذ رمز ينابيع النور ، ومي مظفر حين تجد ان الطرق تؤدي الى انفلاتها الحزينة وان السماوات سماء واحدة مطرها قليل كالدموع وشمسها المباشرة الكاوية مذلة للعيون ، تحاول مع ذلك ان تتعرف على معنى التوقع الايجابي ، حتى اذا كان ذلك على شكل ابله يرقد على تراب الارض (امه التي توليه حنانا) ، اما في قصة (خطوات في ليل الفجر) فالانتظار يبلغ عنفوانه في الحنو والمشاركة ، فهناك امرأة تراقب بارتجاف ودود تحركات الرجل في عوالم انتماءاته المصيرية وخلال صمتها الكريم بهبه اكثر من سبب لاحضان البطولة .

في هذه القصص المشبهة بالتعاطف يبرد الشعور المتورق على ذاته كانه الموجة ، فلا عجب ان نرى هذه المجموعة تبدأ بباب مفلق وتنتهي بتوحشات محطة ونقرأ بين الاثني مسمعى مرندا على انعدام الجدوى مع حذق خاص في انطاق الافعال الانسانية البسيطة المنكئة شعرا وفهما مما يذكر المرء بشيخوف ، نجد هذا في قصة (الجريدة) وقصة (ورقة انذار المصلحة) . وهذه المشاركة الانسانية تنال معالجة رقيقة في قصة (من وراء الجدران) اذ تحل اكثر من كل قصص المجموعة جوا بفاديا مصورا بسخرية دافئة . ليس في هذه القصة تطلعات رمزية ذات امتداد قد يكون باهتا اذا انفلت بلا فيود ولكن فيها بساطة وملموسية حية .

(حين ينطق الصمت) نتحدث بفريزة حاذقة عن مستويين من العلاقات الانسانية هما مستوى المتحدثة التي يهبها فقدانها (الفارس) هوسا بعالم صدق مفقود ، ومستوى الاخرين الذين يحيون كيفما اتفق . انها قصة ذات ابعاد نحو منحى التصوير القوي الذي يبقيه عنماسكا ما فيه من اسى . واذا كانت هذه القصة تتلمس عمق الفقدان في الموت فان قصة (اللحظات القلقة) تنطلق الى عمق اخر هو عمق فلق الفقدان . انها تسجيل استبطاني لتخلخلات روح ودودة بمرمد على ثبات المودة فيها .

الكتابة المتحركة كتابة لا علفة لها بعالم الجنة ، وهي سفرة الى جحيم ما ، ذلك لانها تسمى لاسمكشاف طبقات القلق والترقب والخيبة وحتى حين تصل في تطوافها المتور الى اراضي الفرح ، فان الارادة الانسانية تؤكد نفسها بجاه ارادات اخرى وليس في الجنة الموعودة ارادة تصطدم بارادات او تنطلق في اتجاه يكون احتمالا بسبب الخيبة . من دون التوقع والترقب ومن دون حياة بلذع فيها الارادة وتخبو وتؤكد ذاتها من جديد لا يكون الواقع الانساني اكثر من سكونية نباتية وهي سكونية عالم الجنة الذي فيه من اشباح الرغبات ما يفتح لها نهاياتها . ما افجع سكونية القصة اذا لم تكن دراسة للعتقة فلفة في كتاب الحياة الطويل !

ليس في المجموعة ما يشير الى الرضى الملتاع اكثر من قصة (البهلوان) حيث تكون المرأة فيها نهاية مظاف الرجل بعد ان يكون حياته قد اصبحت شظايا . في هذه القصة تتحول الخيبة الى طاقسة ايجابية .

وفي (الجثة) ملامح بناء قصصي يزداد قوة مع مسيرة القصة . اما نهايتها الكافكاوية فتنبئ عن قدرة في التطور جيدة . ليست كل مجموعات القصصيين الاولى في مستوى هذه المجموعة من حيث الايقان ، وما يتيح للقارئ ان يتفاعل ان هذه الاندلاعات الحية المتطورة في ثنايا هذا الكتاب نفسه تشير الى امكانيات في القدرة ستمكن الكاتبة دون شك من ان تسلك سلوكا اكثر حيطة بازاء التعابير المغناة لتكون هيمنتها على نسج القصة ابعد واشمل . وان نتاجها الذي يلي هذه المجموعة والذي سيطبع بعدها في كتاب يشير بوضوح الى انها تعرف السبيل الى تجويد فنها من

ثبت الاسلوب والتعمق فيما وراء الوان الحزن الرومانسي الذي يشل الاستسلام اليه احيانا حلق العين التي ترى واليد التي تكتب والعقل المهيم عليهما .

(خطوات في ليل الفجر) انما هي مسيرة واعية في فجر كاتبة سيكون نهارها مشمسا ما دام احساسها بمسؤوليتها تجاه فنها على مثل هذه الدرجة من الحدة :

بفداد

نجيب المانع

نقطة نظام

مجموعة قصصية لمحمد الصباغ

الافصوصة في المغرب عرفت افلاما عالجتها بكل عفوية ودراية ، فبعد اول مجموعة صدرت لرقيقة الطيبة (رجل وامرأة) تأتي مجموعة جديدة وأول باكورة قصصية لمحمد الصباغ وعنوانها (نقطة نظام) .

ومحمد الصباغ كاتب معروف سبق ان نشر سلسلة طويلة من الكتب ذات العبير الملتهب (1) واللاهات الجريح) والتي شبهها الكثيرون بانها (شموع على الطريق) (لاهل مدينة فاضله) كلماها متنزعة من (شجرة النار) المحرقة متدفقة من (فواره الظما) (كمنعد ندي) .

واذا كانت كتابات محمد الصباغ السابقة تمتاز بالخيال الخصب الجامح ، وبالكلمة المذهبة الطائفة ، وهي مفرقة في الرومنطية المحالة فان مجموعة القصصية (نقطة نظام) لا تخلو من عنوبة اللفظ ، واشراق الفجر ، لكنها على العكس من ذلك تحمل ملامح الفجعية في صمت ، وتكسب بقوة ضراوة الصراع الذي يخوضه الانسان في العالم الثالث في اصرار وتحد .

ان اسلوب محمد الصباغ في هذه المجموعة اسلوب ساخر متهم ، اسلوب القصص الذي يريد ان يقول كل شيء ولكنه يتكئ على الصور والاستعارات في البوح . ولقد صدق ميخائيل نعيمة حين قال عن محمد الصباغ بان كتاباته القصصية (مبطنه بالتهكم اللاذع على سخافات الناس وتفاهتهم ، ولكنه تهكم مبطن بكثير من الحزن والشعفة والاحساس العميق بقيمة الانسان مهما يكن شأنه بين الناس) .

ان هذه الشفقة وذلك الحزن هما غلاف المجموعة ، وبالتالي هما الاصبع التي ارتفعت في احتجاج بحثا عن الحق ، والعدل ، والشمس. اما ابطال (نقطة نظام) فهم دائما ذوو اهتمامات معينة ، فبعد الكريم بطل افصوصة (البيضاء) وهي اول افصوصة في المجموعة (انسان ثري يعيش في قصر فخم هو وزوجته وخادمة ورتها عن ابيه وبمعيته بيضاء ، وبما ان عبد الكريم يهتم بما يجري من احداث في العالم العربي فانه يخوض في احاديث سياسية مختلفة مع اصدقائه وذويه ، ومن ثم فان المناقشات التي يرددها الرجل يرددها البيضاء ايضا وهذا ما دفع في النهاية اصدقاء عبد الكريم وهو صحفي اجنبي بان يكتب في الجريدة التي يديرها : بان فلسطين للعرب ، وبسان البيفوات ايضا تطالب بها .

ان حشر (البيضاء) ضمن قضية مصرية وداخل مجموعة بشرية لم يات عفوا وانما تمعد القاص ذلك حتى يبين بسخرية لاذعة الى اي مدى وصل امر القضية العربية .

بعد (البيضاء) تأتي افصوصة (الاقنعة) ولعلها التي تعكس سخرية محمد الصباغ في اعلى مستوياتها فأبطالها متعددون ، وهم ضحايا اشياء كثيرة ، فالزوجان ضحية سوء تفاهم يحدث في اخر لحظة وهما يهمان بالخروج من البيت الى المسرح ، والشاب ضحية الداء الذيلقى به الى الارض فاذا هو على السرير يعاني الالم والحرقان ، في حين يرفع الستار في المسرح بدون ان يتمهل حتى (تستأصل الزائدة)

لدى المريض ، انما تجربة الفرد داخل مجتمع بلا فرامل . هنالك ايضا البائنة التي تجلس في أحد المقاعد الثلاثة الفارغة ، وهنالك الطفلة التي تلتهم (الشكولانة) بعينها الجائعتين بدون ان تستطيع الحصول عليها ، وأخيرا بائع الاقنعة الذي يبيع المشاعر والوجوه والذي وجد عدة زبناء دفعتمهم موافق الحياة الى استعارة وجوه اخرى للقبلة رئيس او وزير او مسؤول .

وهكذا نخرج من هذا الزحام المرير شاعرين بكثير من الوجع والشفقة ، مقتنعين بان الاشياء البسيطة جدا هي سبب الامنسا وعذاباتنا وفشلنا احيانا . ان الزيف الذي اصبح يصيغ وجه المجتمع هو الذي جعل محمد الصباغ يصرخ : (الحياة يعوزها تعدد الوجوه، الوجوه في مناوول الجميع) .

ان محمد الصباغ يعتمد على الوصف اكثر مما يعتمد على التركيز على الفكرة ، وهذا نجده في كل كتاباته تقريبا ، لا لان نظرتة الى الحياة والناس ، والاشياء فاصرة ، ولكن لانه شاعر نظريه الكلمسة ويستبد به النغم فينساق وراءهما .

بعد ذلك تأتي افصوصة (نقطة نظام) وهي التي تحمل المجموعة اسمها ... والافصوصة صوت اللامعالة على الارض ، وصرخة الذي نفته الحياة الى ارض الاحزان والهزيمة ، والحاجة ، وحين تقول بطة الافصوصة (... نقطة نظام) رافعه وجهها الى السماء فانما تعبر عن ثورة الفرد واستياءه من وضع رجعي يلونه ، ولا يكفل له عدالة اجتماعية ، ولا يعبر عن مطامحه وآماله . ان ابطال (نقطة نظام) يمثلون الوجه الاخر من مجتمع لا يعرف سوى لغة (البقشيش) وحين تنعدم هذه اللغة يموت كل شيء . وفي المجموعة قصص اخرى رائعة بصور قدر الانسان المغربي وهو يجتاز اصعب مرحلة في حياته .

1 - الجمل التي توجد داخل اقواس عناوين كتب المؤلف

2 - المقدمة بقلم ناسك الشخروب الاستاذ ميخائيل نعيمة
الرباط - المغرب - ادريس الزمراني

صدر حديثاً :

- دراسات يسارية حول القضية الفلسطينية
- صادق جلال العظم
- ثلاث سنوات
- احمد بهاء الدين
- مناقشات حول القضية الفلسطينية
- وثائق جمعها ناجي علوش
- الثورة الفلسطينية ابعادها وقضاياها
- ناجي علوش
- البؤرة الثورية
- مناقشة « ثورة في الثورة »
- المقاومة الفلسطينية
- جيرار شاليان
- المقاومة العربية في فلسطين
- ناجي علوش
- الحرب الثورية في فيتنام
- غابرييل بونيه
- المفهوم المادي للمسألة اليهودية
- ابراهام ليون
- علم الاجتماع الماركسي
- كونستانتينوف وكيل

دار الطليعة للطباعة والنشر

ص.ب ١٨١٣ بيروت